التي لم ترد، مسبقاً، في حسبان الجانب الفلسطيني عندما كان ينظم استعداداته لمواجهة الاجتياح المرتقب. وبين هذه المفاجآت، ثلاث يمكن الحديث عنها منذ الآن: أولاها، ظهرت عندما اجتازت القوات الاسرائيلية منطقة تواجد القوات الدولية في جنوب لبنان دون عوائق على الاطلاق. وكان في الظن أن القوات الدولية التي أناطت بها الأمم المتحدة مهمة حفظ السلام ومنع التعديات، ستعرقل تقدم القوات الاسرائيلية لبعض الوقت ان لم تقاومه. وما زال من غير المفهوم الى الآن، لماذا اخترقت القوات الاسرائيلية منطقة تواجد القوات الدولية دون أي عائق على الاطلاق. وقد أشير الى تواطىء اسرائيلي مع أحد أطراف القوة الدولية؛ والثانية، ظهرت عندما اتجهت القوات الاسرائيلية، في الاسبوع الثاني من الحرب، شرقي خط تمركزها على الساحل، واجتاحت منطقة الشوف الجبلية دون مقاومة تذكر. فاجتياح الشوف بسهولة مكن القوات الاسرائيلية من التعجيل في السيطرة على طريق بيروت ــ دمشق بعد اشتباكات لم تدم طويلاً مع الوحدات السورية الموجودة هناك كقوة ردع عربية؛ وبذا قطعت اسرائيل خط الامداد الرئيسي الذي تتمون منه القوات الفلسطينية ــ اللبنانية المشتركة وهي تقاوم الغزو، وصار في مقدور الغزاة، بعد أن وصلوا خطوطهم بالقوات اللبنانية التي يقودها حزب الكتائب اللبنانية، أن يتموا حلقة الحصار على بيروت الغربية وأن يتجهوا، قادمين من الخط الساحلي، ومنحدرين من الجبال، لتضييق الطوق عليها؛ أما المفاجأة الثالثة، فتمثلت في ظهور هشاشة الوعود بالدعم التي سبق لمنظمة التحرير أن تلقتها من عدد من الدول العربية. فبعض هذه الوعود لم ينفذ على الاطلاق، وبعضها الآخر نفذ على نحو لا يفي أبداً بالحاجات التي فرضها حجم الغزو وحجم القوات الاسرائيلية والأسلحة المشتركة فيه. وقد أدى التلكؤ في تقديم الدعم في بعض الحالات والنكوص عن تقديمه في حالات أخرى الى وضع توجب فيه على القوات الفلسطينية اللبنانية المشتركة أن تقاتل بوسائلها المحدودة جيشاً مهاجماً تجاوز قوامه المائة ألف وتفوقت تجهيزاته بما لا يقاس على مثيلاتها لدى مقاوميه، بالاضافة الى تمتع الجيش الغازي بالسيطرتين الجوية والبحرية الكاملتين.

وهذا السبب بالذات كان له، أكثر من أي سبب آخر، الاثر الحاسم في املاء أسلوب القتال التراجعي، على أساس التمترس في المواقع المستهدفة أطول مدة ممكنة، وتوجيه الجهد لعرقلة تقدم المهاجمين بقدر الامكان وايقاع أكبر الخسائر البشرية والمادية في صفوفهم، والعمل، في الوقت نفسه، لاستنهاض أوسع شجب عربي وعالمي ممكن ضد العدوان من أجل تحسين الموقف التفاوضي لمنظمة التحرير وحلفائها.

كفاءة في المجابهة

وقد جرى تنفيذ هذا الأسلوب بكفاءة مشهودة؛ فعدا استثناءات قليلة، صمدت مواقع القوات المشتركة وهي تتلقى الضربات البرية والجوية والبحرية صموداً فاق كل تصور، وفاق، خصوصاً، تصورات قادة الغزو الذين ظنوا، في البداية، أن عمليتهم لن تستغرق أكثر من بضعة أيام وأن المقاومة الفلسطينية والوطنية اللبنانية ستنهار بسرعة مما سيسمح لاسرائيل بملاحقة فلولها وتصفيتها تصفية كاملة، ومن ثم املاء شروطها السياسية والأمنية بسهولة. فعلى النقيض من ذلك، وجدت القوات الاسرائيلية نفسها